٤ ـ إندونيسيا

الحياة الاقتصادية

الاستاذ أبو الفتوح عطيفة

الاقتصاد والاستعمار :

لاشك ان الدافع الأول إلى الاستعمار هو العامل الاقتصادي. فالدول الاستعمارية إنما تقصد بوضع يدها على المستعمرات إلى أن تضمن لنفسها إنتاج هذه البلاد سواء أكان زراعيا أم حيوانيا أم معدنيا ، كما أنها تضمن أن تكون هذه المستعمرات أسواقا لتصريف مصنوعاتها . وكل هذا يحقق رفاهية الشعب المستعمر ورخاءه ، وهكذا يسعد بعض الشعوب ويشقى البعض الآخر

تلك هي قصة الاستعمار منذ نشأته ، وستظل كذلك مابقى ! إنه الدليل الحي على ظلم الإنسان للانسان وجشعه وطمعه وأنانيته .

ولم تختلف قصة الاستعمار الهولندي لإندونيسيا عن غيرها من القصص ، فقد ظل الهولنديون يدأبون على وضع يدهم على منتجات إندونيسيا وخيراتها وأرضها وعلى تسخير الإندونيسيين في العمل والإنتاج حتى تم لهم ذلك ، فأصبحوا يسيطرون تماما على الاقتصاد الإندونيسي وجنت هولندا « بقاله أوربا » وشبعها من وراء ذلك أرباحا طائلة وسعد الهولنديون بينما كان الإندونيسيون لايجدون القوت ! وكثيرا ماستخدم الهولنديون القسوة في دفع الإندونيسيين إلى العمل ، ولما وجه إليهم اللوم قالوا إنا نفعل ذلك لأن فيه صلاح الإندونيسيين ! وهذا هو الاستعمار : شر وبلاء وفقر ومذلة !

وقد كانت الشركة الهولندية الشرقية أول محتكر لإندونيسيا ولكن منذ ١٨٧٠ سمح للرأسماليين الهولنديين باستثمار أموالهم في إندونيسيا فامتلأت البلاد بشركاتهم ومؤسساتهم ، وعاد الربح الوفير على الشركات الهولندية والهولنديين

راع الدول الكبرى ماتجنيه هولندا من أرباح فطلبت أن يسمح لرعاياها باستثمار رؤوس أموالهم في إندونيسيا ، واضطرت هولندا إلى اتباع سياسة « الباب المفتوح » فتدفقت رءوس الأموال الأجنبية من هولندية وإنجليزية وأمريكية وفرنسية وألمانية ويابانية على إندونيسيا .

وقال المستعمرون إنهم يعملون على إنماء ثروة إندونيسيا . ربما كان صحيحا ، ولكن هل أدى ذلك إلى تحسين حال الإندونيسيين ورفاهيتهم ؟ والجواب على ذلك : لا

صحيح أن إندونيسيا قد أصبحت قطرا غنيا عظيم الإنتاج يعج بالمصانع والبنوك ، وتنتشر فيه الطرق الحديدية والسيارات ، وتكثر بموانيه السفن والبواخر ، ولكن الشعب الإندونيسي كان ينظر إلى تلك الثروة بكل حسرة لما أصابه من الحرمان والفقر المدقع . يقول الأستاذ «هلفرسن» الهولندي عندما ودع إندونيسيا : آه يا إندونيسيا الغنية ... ولكن شعبك في عوز وفقر مدقع ! ويقول الدكتور ليفرت « إن الأجور التي يتقاضاها العمال الإندونيسيون لاتزيد عما يسد الرمق » .

على أن هذا البؤس كان مما دفع الإندونيسيين إلى أن ينهضوا وإلى أن يحاولوا رفع هذا الضغط الاقتصادي عن كاهلهم وإلى أن يعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية ، وفي النهاية إلى أن يعملوا على تحرير وطنهم من ربقة الاستعمار وإعادة الاستقلال إليه . وهكذا استيقظت إندونيسيا من سباتها

وكانت الشركة التجارية الإندونيسية التي تأسست ١٩٠٩ أول حجر في هذا البناء الشامخ وأصبحت الجمعيات والأحزاب الإندونيسية تعنى بالتحرر الاقتصادي للاندونيسيين كما تعنى بالتحرر السياسي ومن ثم كثرت الشركات الوطنية التجارية والصناعية

وفي ١٩٣٨ تأسست شركة « الملاحة والتجارة » للجمعية المحمدية . وقد كانت تهتم بتيسير نقل الحجاج إلى مكة ، وساعدت كثيراً على تقدم حركة النقل التجاري الإندونيسية .

ثم أنشىء « البنك الإسلامي » تحت إشراف الجمعية المحمدية وبمجهود المرحوم الدكتور ستدمو قام في سورابايا « البنك الإندونيسي الوطني » .

وهكذا سارت حركة التحرير الاقتصادي جنبا إلى جنب

مع حركة التحرير السياسي ، وفي ١٩٤٥ تحقق استقلال إندونيسيا ونحن نرجو لشعبها الرفاهية والقوة في ظل الاستقلال

قصة جوز الهند :

شجرة جوز الهندى زينة المناطق الحارة وحلية الناظر الطبيعية في الغابة ، تمتاز بارتفاع هامتها وباعتدال جذعها النحيل وبتجرد ساقها من كل فرع أو غصن ، وتتوج هامتها أوراقها الوارفة تتموج وتتمايل في الفضاء تحت ضربات الرياح فيسمع لحركاتها صوت يشبه حفيف أجنحة الحمائم الطائرة .

وإندونيسيا من أكثر الدول إنتاجا لجوز الهند فهي تنتج ٢٥٪ من المحصول العالمي وتصدر منه مايزيد على ٥٠٠ر٠٠٠ طن سنويا .

وللجوز الهندى منافع جمة : فبداخله شراب لذيذ الطعم ويحيط به لب ناصع البياض هو غذاء شهي . وللجوز الهندى غلاف صلب يمكن استخدامه كوعاء وتغطيه ألياف يمكن صناعة الحبال منها وكذلك تستخدم في صباغة الأكلة والمكانس أما السعف والأوراق فتستخدم وقودا وأما الجذع فيعتبر من أقوى خشب العمارة ويتخذ لبناء البيوت والجسور .

ولشجرة جوز الهند قصة طريفة ترويها الأساطير الإندونيسية .

زعموا أنه كان يعيش في إندونيسيا في قديم الزمان ملك عظيم الشأن يخضع لسلطانه جميع الملوك المعاصرين . وكان لهذا الملك طاهية قديرة تتفنن في صناعة الأطعمة الشهية والمأكولات اللذيذة ولا يفوقها أحد في براعتها أو مهارتها . وكان الملك يخصها بالمزيد ببراعتها ويشملها دائما بعطفه ورعايته وهداياه وجوائزه .

ولقدرتها الفائقة بعث الملوك بطهاتهم إلى قصر الملك ليأخذوا عن الطاهية فنها ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى السر وظل فنها قاصرا عليها

وذات يوم كانت الطاهية مشغولة بإعداد طعام الملك فغافلها أحد ندمائه ودخل المطبخ خلسة واختفى في ركن من أركانه ، وظل يراقبها لكي يقف على سرها

وكانت الطاهية تحمل على ذراعها طفلها الرضيع ، وسرعان ما وقف النديم مبهوتا مدهوشا . لقد رأى الطاهية تحلب من ثديها لبنا صبته في الإناء الذي يفور فيه الطعام المهيأ للملك . عرف النديم السر فتسلل من مخبئه وذهب توا إلى الملك وأوقفه على الأمر

ثار الملك وغضب على طاهيته التي تجرأت على أن تطعمه من لبن ثديها القذر ، ولم ير سوى الموت عقابا لها على جريمتها ، وأمر بتنفيذ حكم الإعدام فورا ولم يشفع لديه بكاؤها ولا توسلاتها

عرفت المسكينة أنها هالكة لامحالة فدعت الإله في ضراعة أن يحمي طفلها الوحيد بعد موتها وسألته أن يرد جسمها بعد دفنه إلى شيء يستطيع أن يقوم لابنها ولأعقابه بأجل الخدمات ودفنت جثتها في موضع بداخل الغابة ، ولم تمض أيام على موت الطاهية حتى شوهد فوق قبرها نبات ينمو ويترعرع في سرعة مدهشة ، ومالبث أن أصبح شجرة عالية ذات ثمار كبيرة مستديرة ! إن الوجود قد انشق عن أول شجرة للجوز الهندى أو النارجيل

لقد تحقق جميع ما طلبته الطاهية : إن جسمها قد تحول إلى شجرة جمة المنافع ، فثمرتها عظيمة ، في جوفها ماء ليس كالماء ! تجده نقيا صافيا فيه حلاوة الرحيق وأنفاس النبيذ لذة للشاربين ومطفئا لأوار الظامئين . كم من مسافر أطفأ ظمأه شراب جوز الهند !

وكم من جائع ناله الشبع من لب جوز الهند ! .

وكم للجوز الهندى من فوائد (راجع ماسبق) !

وهكذا استجاب الإله لدعاء الطاهية فصنع من جسمها شجرة عظيمة النفع لأبنائها وأحفادها .

وتمضي الأسطورة فتقول : إن روح الطاهية تطوف بأشجار النارجيل ليلا تودع أحفادها وكأنها تقول

نم أيها الطفل الحبيب نم

فإن أعمالي قد انتهت

وقد أجهدت أنت نفسك كثيراً في اللعب

والنهار قد ولى وبلغ نهايته